الأهرام

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ: ٢٢ مايـــو ١٩٩٧

معاهدة السلام بين روسيا والشيشان

لماذا قبل مسخادوف تأجيل الاستقلال الفورى للشيشان؟

بلتسين يصافح مسخادوف

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

تقطع الشواهد الدولية المعاصرة على أننا نعيش في عالم معقد

فمن ذا الذي يمكن له أن يتصور أن يتحول مسخادوف «الإرهابي» و «مثير القلاقل» و «موجه نشاط التشكيلات العسكرية المسلحة» ورئيس أركانها في الشيشان على مدى سنتين، إلى رئيس جمهورية يرحب به الرئيس يلتسين في قصر «الكرملين كصديق ومطير أحيى في مكانة رد بهجة نستحق أن يعد الرئيس الروسي له العدة للمصافحة ويحافظ على قدم المساواة في الثاني عشر من مايو الجاري؟

وكيف يتلقى الرئيس يلتسين، الذي اصدر قراره الحربي بحبوشه باقتحام جمهورية الشيشان الصغيرة للقضاء على التشكيلات المناهضة لمسخادوف ودوداييف والتشكيلات المسلحة بالشيشان سنة ٩٤، أن يكون هو الرئيس نفسه الذي يحتفي رئيسه أمام عساكر وبلس القدائيين الشيشانيين الذين دفعوا اكثر من مائة الف شهيد فوقع صاغوا في مايو ٩٧ على اتفاق السلام مع رئيس اركان الشيشان السابق مسخادوف الذي اصبح بعد انتخابات الشيشان في يناير الماضي رئيسا للجمهورية ورئيسا لحكومتها؟

وكم سيبدو لنا أن يكون الذي يوقع قرار شن الحرب، هو الرئيس نفسه الذي يعبر وشفة إقرار السلام ونهاية الحروب القومية

بعد أن فروسية العقود القاهرة التي كانت تقضي بأن وراء المهزومين عسكريا قد توارت لتحل محلها طالبو التعويض اقتصاديا وإنمائيا؟

وربما انهه أن الدرس الأول المستفاد أن من أو ما لا تستطيع أن تحيط به كله ؟

تتبنه كله. وما لا تنفع القصا الحربية في رضوخه وإخضاعه قد تنفع «الهزيمة» و «كسرة الخبز» الاقتصادية في قبوله وربما استرضائه أو تهدئته ولو إلى حين!

عبر هذه التصورات أو التخيلات تابعنا قصر الكرملين الشهير بموسكو في الأيام الأخيرة عندما استضاف أصلان مسخادوف رئيس الشيشان للتوقيع المشترك (الروسي / الشيشاني) على بنود السلام

وبينما خابت آمال يلتسين في مستشاريه ومساعديه وناصحيه لا يستبعد أن يطلق ثقة ولو محدودة على خصومه وأعدائه الشيشانيين السابقين، خاصة بعد أن عرف ملل الضباط المحترف الشيشاني مسخادوف إذا تعهد لومي حتى ولو أدى ذلك إلى التضحية بمنصبه بل وبحياته.

أسئلة معلقة وغيرها كثير كانت تدور بالرؤوس وهي تتابع أهم مشاهد هزيمة الصلف والغطرسة للجيش الروسي الذي كان يوصف بأنه «الجيش الذي كان لا يقهر» لأنه كان الجيش نفسه الذي انسحب من الشيشان بعد معركة جروزني الأخيرة في عام ٩٦.

معركة جروزني البائسة والمذلة التي حاصرت قوات جيش روسيا سنة ٩٦، وفق خطة أعدها وخطط لها وقادها أصلان مسخادوف، رمز كبرياء وفخر المقاومة الشيشانية واستبسالها

وهكذا فكل ما له بداية في المكان له نهاية في الزمان

وليست الحروب الروسية - الشيشانية استثناء من ذلك بل ومما تأكيد

وربما كان التطبيل الأول لن المتحاربين جاران جمعت بينهما حيرة مئات السنين وقد يستطيع المرء أن يتخلص من شريكه، لكن من المتعذر عليه - إن لم يكن من المستحيل - أن يحقق ذلك مع جاره

وربما لم يشهد التاريخ الحديث صراعا متناحرا بين خصمين في الختام لم ينصفا

والدليل التقارب بين الألمان والفرنسيين والروس واليابانيين والصينيين رغم حروب الغدر والقهر والهزيمة بينهم في سنوات الحرب العالمية الثانية وقبلها وبعدها

وربما يزيد من الحقد في سر الحرب الروسية ضد شعب الشيشان على مدى أكثر من عشرين شهرا، إصرار القادة الروس على الاستمساك بالشيشان ضمن أقوام روسيا الفيدرالية، مع أن من أول مبهمات الفيدرالية حق الاختيار الطوعي بالارتباط أو الانفصال وحق تقرير المصير والاختيار

ومن ثم كان لابد من سد ثغرة هذه المفارقة التي حطت من سمعة القيادة الروسية وجعلتها تتوجها على «الحكم بمستبدين» وكأن الأمر عودة إلى نمس قيصري فيه على «التي حكم عليها الفكر القيصري المتطور بمعاداة العلم والحديد والتخلف

ولكسر هذه الحلقة المفرغة من العداء بين الروس والشيشان، كان لابد لإعداد المسرح الذي يتوج شفاء بين يلتسين ومسخادوف

كانت البداية أولا استدعاء سيرجي شاخراي مستشار يلتسين صاحب الفضائح الخانقة عند الحرب وكان من الفضائح الخانقة أن يكون يلتسين استخدامه القوة العسكرية مثل إطلاق المذنبة الحربية للقصر على المعارضين البرلمانيين في أكتوبر ٩٣، وذلك بلن يفاجئ «هوهو دوداييف» زعيم الشيشانيين بانقلاب يدبره خصومه المعارضون الشيشانيون المدعومون بالدعم العسكري عتادا ورجالا وسلاحا من روسيا

وعندما نفذت الخطة باءت بالفشل الذريع إذ قبض أنصار دوداييف ومسخادوف على كل الانقلابيين وأسلحتهم المستسلمين الروس

ووضعوا يلتسين أمام خيارين. إما قبول عار الهزيمة وتقديم استقالته أو أن يصبح السمع لنصيحة من وزير دفاعه بافل جراتشوف الذي أكد له أنه يستطيع أن يقضي على الشيشانيين المتمردين وأنصار دوداييف خلال يومين.

والمثير أن كل قوات روسيا فشلت في تحقيق ذلك بعد أكثر من عشرين شهرا.. وكان لابد من الطرد الثاني لوزير الدفاع جراتشوف.

وثانيا: مصرع جوهر دوداييف بقذيفة روسية في أبريل ٩٥ مما مهد الطريق أن يواصل أعوان يلتسين «تلميع» مسخادوف على أنه شخص يمكن لروسيا التفاهم معه.

وربما ساعد على ذلك معرفة المؤسسة العسكرية الروسية بكفاءة مسخادوف العسكرية الباهرة منذ أن كان ضابطا نابها ومرموقا في الجيش السوفيتي السابق. زد على ذلك أن مسخادوف أدرك كجندي محترف وكرئيس للأركان أن في إمكانه أن يرهق القوات الروسية ولكنه بالقطع لا يستطيع أن يهزم روسيا!!

ثالثا: بروز عناصر اقتصادية ومالية في قمة مجلس الأمن القومي الروسي مثل صاحب البنوك اليهودي «بريزوفسكي» الذي أدرك مسبقا أن الوقت قد حان لأن يصمت إطلاق الصواريخ في الشيشان، والبحث عن خطط بديلة تنطلق من إمكانات الشيشان الاقتصادية مثل البترول والتوريوم والوضعية السياسية الجغرافية في شمال القوقاز بحكم أن روسيا، لأنها على ملتقى عدة طرق تجارية، بمعنى التفكير في أن تقديم المطالب الاقتصادية على المهمات العسكرية، حيث إن ذلك يحقق هوى لدى مسخادوف

والمثير أن مسخادوف أكد أن إعادة تعمير بلاده يجب أن تتم من روسيا وليس من مصدر آخر، بما في ذلك الدول العربية والإسلامية بالشرقين الأوسط والأدنى، بما يعني أن قيادة الشيشان لم تكن مع تدويل مراعاها مع روسيا على نحو طرحه في السابق جوهر دوداييف

رابعا: تأكيد مسخادوف أنه لا يرى مستقبل الشيشان في تأسيس حكم ديني متطرف، مما أزال عن قادة الروس الحرج والهلع من عقدة تكرار أفغانستان داخل الاتحاد الروسي ذاته

خامسا: محاولة إنقاذ سمعة روسيا من التشهير العالمي والانتقاد الدولي.. وفي هذا السبيل لم يألوا مسخادوف لإظهار «التشدد» في هزائم روسيا بقدر ما أكد شوق الشيشان للسلام والاستقلال

سادسا: إشارة مسخادوف بأن اللقاء بين القيادتين الروسية والشيشانية على أساس من الاحترام والتوقير كاف لحل المشكلات خلال ساعات قليلة دون تطاول شيشاني على رئاسة يلتسين

سابعا: إدراك أن الطريق من الحرب للسلام مسيرة ذات منحنيات عديدة، مما يستدعي وقتا من روسيا للدول مطالب الشيشان في الاستقلال. ويبدو أن يلتسين لا يقبل التسليم في عهديه بالرئاسة والتفريط فيما ورثه من أرض لإمبراطورية روسيا - لا في تنازل حدودي مع اليابان ولا قبول باستقلال الشيشان.. لهذا قد تظهر علامات على استقلال الشيشان لكن ليس من ناحية الشكل والمظهر حتى نهاية عهده سنة ٢٠٠١

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

ثامنا: فطنة مسخادوف بأن الاصرار على استقلال الشيشان العامل و الذوى والناجز، وحتى لو تحقق ذلك فعلا فسيكون خطأ فروسيا لإعلان عدم التزامها بإعادة تعمير وتعويض وتطوير وإعمار الشيشان

كذلك يرجح مسخادوف تشغيل الآلة الروسية في إعادة بناء الشيشان. ويالمثل يفكر بعض القادة الروس أن تعميرهم الشيشان قد ينسيهم خلال سنوات الإنشاء قسوة الحرب بل قد يؤدى إلى تضميد الجراح وتحويل الفئة إلى مستوى تأسيس علاقات روسية ـ شيشانية على مستوى أرقى

تاسعا: تكليف يلتسين الجنرال أناتولى كوليكوف نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية بالقيام بمهمة في روح الخيال الأقصى الروسي بعيدا عن موسكو طوال فترة وجود وفد الشيشان برئاسة مسخادوف في العاصمة الروسية. ولعل السبب في ذلك هو كراهية قادة الشيشان لهم مثل الكسندر ليبيد الجنرال كوليكوف لأنه من أشد صقور استمرار الحرب الروسية في الشيشان.

من هذه الزوايا وغيرها كثير يصعب الإحاطة به في هذه العجالة تم التوقيع في الخمسة الكرملين يوم الاثنين ١٢ مايو على «معاهدة السلام ومبادئ العلاقات بين روسيا الاتحادية وجمهورية إتشكيريا ـ الشيشانية».

ويتردد أن المعاهدة مكونة من خمسة بنود من بينها:

١ ـ التخلى إلى الأبد عن استخدام القوة أو التلويح أو التهديد بها لحل مشاكل المسائل المختلف عليها بين الطرفين.

٢ ـ تأسيس العلاقات فيما بينهما وفقا لمبادئ وأحكام القانون الدولى المتعارف عليها. وفى هذه الأثناء يتعامل الطرفان فى الحالات التى تقررها اتفاقات محددة.

٣ ـ تعتبر المعاهدة نافذة فى يوم الاثنين ١٢ مايو استنادا لعقد معاهدات واتفاقات لاحقة تشمل دائرة التفاعلات بينهما.

٤ ـ تظل المعاهدة نافذة حتى التاريخ بدءا من تاريخ توقيعها فى ١٩٩٧/٥/١٢م.

ويعقد الأطلاع على التفاصيل أعلن الرئيس يلتسين إنها هذا الإكمال مرحلة مهمة فى التاريخ الحافل بالجهاز لتسوية سلمية واسعة للعلاقات بين الشيشان والمركز الفيدرالى وإزالة الخلافات وتوقيع معاهدة سلام.

ونطرق يلتسين للتشديد على مشكلة العسكريين المحتجزين رهنا فى الشيشان. وأن مشكلة إطلاق سراحهم تسرى بسط.

وأردف يلتسين: لقد التقينا اليوم لتأكيد التزامنا بعهودنا واتفاقاتنا السابقة. ولكن نعلن عن نوايانا الثابتة بالتخلى وإلى الأبد عن استعمال القوة ضد بعضنا بعضا.

ووصف يلتسين توقيع معاهدة السلام بأنها معاهدة ستفتح برنامجا كبيرا للعمل يتضمن قبل كل شيء توقيع خطة من الاتفاقات فى الميدان الاقتصادى.

وأكد يلتسين سيعمل على تنمية التعاون مع الجمهورية الشيشانية بطريقة سلمية فقط. وأن ذلك يخص بالدرجة الأولى التعاون الاقتصادى. وأضاف أن مسخادوف قد أكد له فى أثناء المباحثات أن سلطاته قادرة على وضع حد للإرهاب والعنف على الذين فى العمليات الإرهابية المرتكبة. وبذل كل ما فى وسعه لإخلاء سبيل الرهائن المحتجزين فى الشيشان.

وبعد توقيع المعاهدة مع يلتسين، توجه مسخادوف إلى اجتماع مع نشيرنوميردين رئيس الحكومة. حيث وقع اتفاقا اقتصاديا يقضى بدعم تعويض وتنمية الشيشان. على الرغم من قول نشيرنوميردين قبل فترة من توقيعه بأن روسيا لن تقوم بدور المرضعات للشيشان.

كذلك تقابل رئيس البنك المركزى الشيشانى مع نظيره الروسى ووقعا بروتوكولا يحدد مجال التعاون بينهما.

وربما كان للشيشان أن يشارك فى المفاوضات مع يلتسين رأس الدولة الروسية والقائد الأعلى للقوات المسلحة أعضاء الوفد الشيشانى الذى يضم المجرمين والمطاردين السابقين فى تقدير سلطات روسيا سابقا: مسخادوف ومولادى اودوجوف نائب أول رئيس حكومة الشيشان وأحمد زكايف.

وقد علق اودوجوف ـ الذى يتابى حلقة الاتصال بين روسيا والشيشان ـ قائلا: لقد تغيرت الدنيا وينتفس شمال القوقاز كله الآن هواء الحرية. وأن الصمود الإسلامية هى واقع معاش أراد البعض ذلك أم لا.. ليس لنا خيار سوى الاستقلال الذى لا نبدل عنه بطلاقا.. ولم يقل متى يتحقق الاستقلال؟

وفى إطار تأكيد مسخادوف كلمته ليلتسين أعلن عدة أمور ومراسيم منها بل وأهمها حل جميع الوحدات العسكرية الشيشانية وضمها للقوات النظامية التابعة للداخلية والدفاع والأمن.

ومن ثم تحول الشيشان مرحلة الانتقال من الشرعية الثورية القتالية إلى شرعية البناء المدنى والإصلاح الاجتماعى.

ومن المتوقع به أن يترسخ الاستقرار حتى مع بعض الخروقات أحيانا. لكن الطابع العام يمضى صوب التطبيع والتهدئة مادام له مسخادوف باقيا على رأس الجمهورية والوزارة فى الشيشان.

ولعل الدليل على ذلك الاحتفالات التى عمت الشيشان يوم الأحد ١٨ مايو واعتبار ١٢ مايو من كل عام عيدا قوميا للتهدئة والنصر والسلام

وفى التشهيد جوهر دودايف ـ مؤسس الشيشان الحديثة وراعى ثورتها ومنظم مقاومتها اسمه فى عاصمة الشيشان. جروزنى التى سيصبح اسمها مستقلا ـ بناء على اقتراح من عمدتها جوهر كالا، أى مدينة جوهر

وبالمثل سيبقى الرئيس يلتسين تقدير عام من دعاة السلام والتقاط خاص من لدن موالى المعارضة الشرالتية بعد أن تساءل النائب الروسى سيرجى بابورين فى تصريح منذ حطه مجموعة من الأسئلة التى منها:

من هو المسئول عن الحرب؟ ومن أطلقها؟ ومن وقع على المعاهدة؟

ومن المسئول عن ضحاياها؟

ويحسب بابورين ـ إنه واضح للعيان أن الشعب الروسى شعب ملا ذاكرة. المهم إلى متى سيبقى؟

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية